سعدون رشيد الحيالي

الشيخوخة والأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية (٢٣) سورة الإسراء ((*((وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر فلا تقل لهم أف ولاتنهرهما وقل لهم قولاً كريما))

الآية (٢٤) سورة الإسراء ((((وقل ربِ أرحمهما كما ربياني صغيرا

((ووصيناالإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير))سورة لقمان الآية (١٣).

*(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) حديث نبوي شريف

* الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن ، وينظم القانون الوسائل الكفيلة بحمايتها وتدعيم كيانها وتقوية أواصرها والحفاظ على الأمومة والطفولة والشيخوخة في ظلها (المادة ٢١ الدستور القطري الدائم)

* لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته (الفقرة ١ من المادة ٢٥ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)

مقدمة في أهمية الموضوع

*تعد فئة كبار السن من الشرائح المجتمعية التي تحتاج إلى اهتمام بالغ ورعاية خاصة لاعتبارات دينية وإنسانية واجتماعية ووطنية وأخلاقية .

*وكبار السن هم ثروة بشرية خلاقة وطاقة عقلية مبدعة لاتنضب ولايمكن الاستغناء عن خبراتها الغزيرة في أي مجتمع يسعى نحو النمو والازدهار .

*ومن هذا المنطلق فإن العديد من دول العالم المتقدمة تضع ضمن أولوياتها الخطط والبرامج التي ترمي إلى استثمار طاقات كبار السن وخبراتهم الثرية والخلاقة.

*والتجربة القطرية في رعاية كبار السن رائدة في هذا المجال وتستحق الوقوف عندها ، ذلك أن دولة قطر قد وضعت الإنسان هدفا أسمى وغاية عظمى في كافة السياسات والخطط والإستراتيجيات والبرامج التنموية وبخاصة في برامج رعاية كبار السن ، كما أن دستورها الدائم تضمن التأكيد على احترام الدولة والمجتمع للشيخوخة وضرورة رعايتها من قبل الأسرة والمجتمع والجهات المعنية ، كما وضعت التشريعات التي تؤمن حماية حقوقهم .ورعايتهم ، وأنشئت مؤسسة خاصة لرعاية المسنين

*وانطلاقا مما تقدم فإن هذه الورقة المقدمة لهذه الندوة سوف تسلط الضوء على طبيعة الشيخوخة وخصائصها وبعض المشكلات والصعوبات والتحديات التي تواجهها مع الحلول المقترحة لمعالجتها وذلك لضمان تواصل الأجيال في تحقيق الرعاية المطلوبة لهذه الشريحة ، استجابة للمنطلقات والدواعي المشار إليها آنفا، مع طرح بعض الاتجاهات والمرئيات الجديدة في مجال الحماية والرعاية, وأملنا أن تحقق الورقة الهدف المنشود من إعدادها ... والله الموفق

المبحث الأول
أهم المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالشيخوخة

١) الشيخوخة :
هي المرحلة العمرية المتقدمة أو الأخيرة من حياة الإنسان والتي يمر فيها الشخص المسن بسلسلة تحولات جسمية ونفسية تحدث بسبب مرور الزمن ، وينتج عنها مجموعة من التغيرات في التركيب العضوي والوظيفي التي تصاحب الإنسان في هذه المرحلة المتقدمة من حياته وتتفق معظم التعريفات العالمية على أن هذه المرحلة تبدأ من سن الستين فما فوق كما تصنف هذه المرحلة العمرية إلى مراحل هي :مرحلة الكبر الأولى ، ثم مرحلة الكبر الوسطى ، ثم مرحلة الكبر المتأخرة أو المتقدمة.

٢)المسن : لغة هو الشخص الطاعن في السن أو من استبانت منه وظهرت عليه الشيب وغلب ، و اصطلاحا فهو كل شخص بلغ الستين سنة فما فوق إلى نهاية العمر .

٣. الرعاية الشاملة للمسنين
وتعني توفير منظومة متكاملة من المستلزمات والخدمات التي تضمن وقاية وحماية المسنين وصون كرامتهم الإنسانية وتوفير الخدمات الرعوية الأساسية الشاملة لهم.

٤. برامج رعاية المسنين
وهي مجموعة من البرامج والأنشطة الرعوية المخططة والمنظمة التي تمارسها مؤسسات حكومية أو غير حكومية سواء أكانت خاصة أوتطوعية وتسعى من خلالها توفير أفضل الخدمات لكبار السن الذين هم بحاجة إليها ، وتشمل الرعاية الاجتماعية ، الاقتصادية ، والصحية ، والتأهيلية

٥. أنواع برامج الرعاية :
*الرعاية الاجتماعية
وتعني توفير المناخ الاجتماعي السليم المؤدي إلى تهيئة حياة كريمة للمسنين من خلال منظومة من التشريعات والمستلزمات التي تسهم في تلبية حاجاتهم وحل مشكلاتهم وتوفير شبكة الأمن والأمان الاجتماعي لهم .
*الرعاية الاقتصادية :
وهي الرعاية التي توفر للمسنين دخل ماديا مناسبا يسد حاجاتهم المعيشية المختلفة .
*الرعاية الصحية
وهي الرعاية التي تعنى بتوفير الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية البدنية والنفسية التي تحقق لهم رعاية صحية آمنة من خلال مؤسسات خاصة وكوادر طبية ملمة في مجال طب الشيخوخة

٦. مظلة التأمينات الاجتماعية :
ونعني بها مجموعة من التشريعات والوسائل والإجراءات لتحقيق شبكة الأمن والأمان الاجتماعي للمسنين على اعتبار أن الدولة بمختلف أجهزتها وهيئاتها الحكومية وغير الحكومية – بما فيها مؤسسات المجتمع المدني – مسؤولة عن رعايتهم وتوفير مجالات عمل مناسبة لهم تتناسب مع قدراتهم الجسمية والنفسية ,أو تقديم الدعم المالي الذي يساعدهم على تلبية حاجاتهم ومتطلبات معيشتهم ، مع توسيع القاعدة المجانية للمسنين المتمثلة من خلال تقديم بعض الخدمات المجانية المدعمة مثل العلاج والدواء والمواصلات والراتب المعاشي أو التقاعدي.

٧. المؤسسات الحكومية المعنية برعاية المسنين :
ويقصد بها جميع أجهزة ومؤسسات الدولة الحكومية المعنية بتقديم الخدمات الرعوية اللازمة والدعم المادي والمعنوي لكبار السن في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافية والترفيهية سواء أكانت هذه المؤسسات ضمن وزارات أو مجالس أو هيئات أو مؤسسات تمولها وتشرف عليها الدولة .

٨. المؤسسات غير الحكومية المعنية برعاية المسنين :
ويقصد بها جميع المنظمات الأهلية والتطوعية الخاصة والتي تقدم خدمات تطوعية للمسنين دون تلقي أجر

بمقابل ما يؤدى من عمل وخدمات وعادة ماتقوم بهذا الدور مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية التي تعتبر العمل التطوعي والخيري مرتبطا بالجانب الديني والإنساني الذي يقدم عادة إلى فئات خاصة بحاجة إلى الدعم والأسناد المادي والمعنوي بما فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة , وذلك تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي

٩. التكافل الاجتماعي :
ويقصد به أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كل فرد فيه أنه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم

١٠. العمل التطوعي الإنساني الأهلي:
وهوعملخيريهدفإلىخدمةالصالحالعامدونتلقيأجرأوكسبربحأومنفعةذاتيةويرتبطبمعانيالخيروالإنسانيةوالأعمال الصالحةويتصفبالاستمراريةلمواجهةحالاتوظروفطارئةوتقديمدعمأساسيلشريحةسكانيةمعينةأولتنميةالمجتمع, ومن أهم مقوماته مايلي:
أ) القناعة الذاتية المحفزة للعمل الأهلي التطوعي دون الحصول على مقابل مالي
ب) الاهتمام بالصالح العام والرغبة في تقديم الحلول لمشاكل المجتمع.
ج) الوعي والالتزام بروح المواطنة والانتماء للمجتمع .
د) تحفيز الطاقات الكامنة لدى أفراد المجتمع الراغبين في خدمة أفراد أو فئات من السكان لإغراض وغايات إنسانية

المبحث الثاني
خصائص مرحلة الشيخوخة ومشكلاتها وصعوباتها والحلول المقترحة لمعالجتها
الشيخوخة آخر مرحلة عمرية في حياة الإنسان اختلف المختصون في تحديدها ، وأن هذه المرحلة نسبية تتفاوت من فرد لآخر في كل مجتمع من المجتمعات لذا نستطيع القول : (أن العمر التاريخي للإنسان يعد معيارا غير دقيق لتحديد مرحلة الشيخوخة) .وأيا كان الاختلاف في التحديد فمن المؤكد أن ليس هناك حد فاصل واحد نستطيع القول عنده أن الإنسان قد دخل مرحلة الشيخوخة خاصة إذ تعاملنا وفق المقاييس المعتمدة مجتمعة وهي (العمر الزمني ، والعمر البيولوجي ، والعمر الاجتماعي ، والعمر النفسي).

أهم أعراض وخصائص الشيخوخة :
يصاحب الشيخوخة ضعف الجسم المضطرد في وقاية ذاته مع الزيادة المتصاعدة في عمليات الهدم الذاتي، ونمو الضعف في وقاية الذات يكون ناتجاً عن عجز الجهاز المناعي، وزيادة الهدم الذاتي، وضعف آلية ترميم التلف، كما أنه فترة من الحياة تحدث فيها تغيرات فسيولوجية، وبيولوجية، (جسمانية، وعقلانية، ونفسية) تشكل مشاكل لطبيعة وحياة المسن وكل هذه العوامل تعود لأسباب عديدة منها :
*التغير في الكفاءة المناعية،
*التحولات الجسدية،
*النقص في إفراز الهرمونات
*التغير في تركيب البروتينات وعمليات التمثيل
*التتغيرات فسيولوجية التي تحدث للمسنين غير قابلة للرجوع نتيجة لتقدم العمر وتستمر تصاعديا مع تقدم عمر المسن.

تجنب أمراض الشيخوخة والوقاية من أعراضها المبكرة حالة قابلة للتحقيق
*لقد أستطاع العلماء المعنيون بعلم الشيخوخة بفضل استفادتهم من ثمار نظريات ونتائج الأبحاث والدراسات في علوم الطب والصحة العامة وعلم البيئة والتلوث وعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية والصحة النفسية أن يوفروا حقائق بإمكانها الوقاية من الشيخوخة المبكرة وتجنب كثير من الأمراض التي تصاحب هذه المرحلة العمرية ، كما أن مزاولة الألعاب الرياضية المناسبة يجنب كبار السن كثيرا من الأمراض التي تنتابهم في هذه المرحلة ، كما يزيد من إمكاناتهم وقدراتهم في التعامل مع الحياة بنشاط وحيوية .
*من الممكن تفادي الشيخوخة المصحوبة بالعجز والألم والخرف عندما نعلم أن الجينات أو المورثات لا يتجاوز دورها في الشيخوخة ٣٠٪ في حين أن أساس الوقاية والتفادي للشيخوخة المبكرة هو الابتعاد عن التدخين والكحول وإتباع الأساليب

الصحيحة في الحياة كالتغذية السليمة والكشف المبكر عن الأمراض والنوم الكافي والتخفيف من القلق و التوتر العصبي.
أهم المشكلات والصعوبات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة

- **المشكلات الصحية:**

يعاني المسنون من ضعف جسدي عام سواء في الإحساس أو الحواس أوالعضلات أوالعظام أوالنشاط الجسمي الداخلي في وظائف الأجهزة (الهضمي أوالبولي أوالدموي أوالجلدي) وضعف عام وظهور الترهلات , وأعراض الشيخوخة التي تصحبها عادة أمراض ومشكلات جسدية مثل أمراض القلب والشرايين وهشاشة العظام والكسور والأمراض الجلدية والحسية , وغيرها من الأمراض , وقد يظهر لدى المريض المسن بعض الوساوس أوالتوهم بالأمراض وتركيز زائد على الصحة حيث ينظر للمرض البسيط بأنه خطير قال تعالى قال رب أنى وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . سورة مريم الآية (٤) (قال رسول اللّٰه للأعراب عندما سألوه فقالوا يارسول اللّٰه أنتداوى ؟ فقال (نعم ياعباد اللّٰه تداووا فإن اللّٰه عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا ماهو ؟ قال الهرم) .أخرجه الترمذي

٢. المشكلات الانفعالية الوجدانية :

يعاني المسنون من مشكلات انفعالية كالشعور بالفشل أو بالإحباط , مما يؤدي إلى أن تغلب عليهم روح التشاؤم واليأس وفقدان التفاؤل وضعف الثقة بالآخرين , والذي قد يصل الأمر ببعضهم إلى الشك بأقرب المقربين لهم , ويكون سلوكهم متسما بالحذر والحساسية والتأثر الانفعالي السريع .

٣. المشكلات الذهنية والفكرية : وذلك ينتج بسبب ضعف الحواس وضعف الانتباه على التركيز , مما يضعف المدركات ويؤدي إلى ضيق الاهتمام وإلى ضعف الذاكرة وتشتتها وسرعة النسيان أحيانا , مما يجعل الفرد يتمركز بشكل محوري في تفكيره حول شي مايبدو شبيها بالوسوسة أو الهلوسة , قال تعالى يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج سورة الحج آية (٥) .

٤. المشكلات الاقتصادية : قد يعاني عدد من المسنين نقصا في دخلهم ومواردهم المالية والمعيشية , بسبب إحالتهم على التقاعد , حيث يؤدي الانقطاع عن العمل أوالشعور بالضعف والعسرة في الجانب المالي إلى عدم القدرة على أداء أدوار اجتماعية مهمة ومحدودية التواصل الاجتماعي ، الأمر الذي ينجم عنه بروز مشكلات اقتصادية ذات أبعاد نفسية واجتماعية وصحية , يضاف إلى ذلك أن بعض المجتمعات تنظر إلى الشيخوخة بأنها مشكلة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة ، لما تتطلبه رعايتها من نفقات مالية كبيرة .

٥. المشكلات الاجتماعية : قد يتسبب الانشغال عن المسن من قبل أفراد الأسرة في كثير من الأحيان , صعوبة التواصل بين المسنين وأقاربهم وأصدقائهم بسبب تفرقهم إما بسبب البعد أو المرض أو السفر , وتزداد حدة المشكلة صعوبة بفقد شريك الحياة كالزوج أو الزوجة, مما يشكل عبئا إضافيا على المسن فيعاني من الوحدة وآثارها النفسية , وكذلك فإن عددا غير قليل من المسنين يعانون من المشكلات الاجتماعية لصعوبة التكيف من جانبهم مع الأنماط الجديدة في السلوك والتفكير وفق الظروف الاجتماعية والبيئية من حولهم .

أهم الأخطار التي يتعرض لها الإنسان المسن في مرحلة الشيخوخة :

- **الإهمال :**

يؤدي الإهمال في تقديم الرعاية الصحية والطبية اللازمة والمتابعة الأسرية الجادة والمستمرة للمسن وتعرضه إلى المزيد من التدهور الجسدي والنفسي والمعنوي وعدم قدرته على حماية نفسه من أي خطر قد يتعرض له , كما أن ترك المسن يسير بمفرده بدون مرافق خصوصا في المناطق الخالية من المارة أو المظلمة أو الضيقة قد يعرضه إلى الخطر أو الاعتداء عليه أوالإيذاء من قبل بعض الأشرار عديمي الضمير والرحمة .

٢. الــعزلــة :
يلجأ بعض الأبناء وأفراد الأسرة للأسف الشديد إلى عزل المسن وهذا العزل قد يكون في غرفة داخل المنزل أو في دار رعاية المسنين أو إحدى المؤسسات الخيرية , مما يسبب الكثير من المتاعب النفسية والمعنوية للمسن , وهي أشد أنواع الإيذاء مهما كانت المبررات أو أسباب العزلة غير العادية وغير الإنسانية آخذين في الاعتبار أن المسن في هذه الحالة سيكون أكثر عرضة للخطر أو وقوع اعتداء عليه يهدد حياته أو ممتلكاته بسبب هذه العزلة والوحدة .

٣. سوء معاملة الأبناء للآباء : يقوم بعض الأبناء بمعاملة الوالدين معاملة غير لائقة بل قاسية في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى يشوبها عدم الاحترام وعدم الطاعة وبشكل يخالف التعاليم الدينية ويتنافى مع القيم والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع ، وبطبيعة الحال فأن هذا الأمر يسبب آلاما نفسية مبرحة للوالدين يتبعها شعور بالحزن والكآبة والإحباط واليأس وفقدان الأمل .

٤. السرقــة :
قد يكون المسن طاعنا في السن أو مريضا لايتمكن من الحركة أو يتحرك ببطئ وصعوبة ففي هذه الحالة لابد من إجراء تدابير احترازية ووقائية مسبقة للحفاظ على ممتلكاته وذلك بعدم ترك باب المنزل أو باب غرفته مفتوحا , وتأمين وحفظ الأشياء الثمينة والمبالغ النقدية العادة له أوفتح حساب باسمه في البنك , مع عدم ترك النوافذ مفتوحة خصوصا أثناء الليل , والتأكد من أن جميع النوافذ مصنعة من خامات جيدة وبطريقة محكمة مع توفير مايلزم لغلق النوافذ من الداخل وتركيب قضبان وموانع حديدية على النوافذ لتحول دخول اللصوص داخل سكنه أو مكان إقامته .

٥. الغـفلــة :
قد يحصل من جراء الانشغال عن المسن أو تركه يعيش بمفرده في مسكن خاص بعيدا عن أسرته أو أقاربه مع وجود خادم سيئ الخلق وغير أمين يعامل المسن بأسلوب خشن وغير لائق أو يسهل بالضرورة مهمة سرقة المسن أو الاعتداء عليه , الأمر الذي يعرضه إلى مخاطر كبيرة تهدد حياته أوتجعله غير آمن ومستقر يشعر بالقلق والخوف في مقر إقامته أو سكنه , فهل يجوز هذا من الوجهة الشرعية والإنسانية لأعز الناس ؟

٦. الدهس وحوادث الطرق :
يضطر كبار السن أحيانا لإنجاز بعض الأعمال الضرورية الخروج بمفردهم لعدم وجود من يساعدهم على إنجازها , مما يؤدي إلى تعرضهم وبخاصة في الشوارع المزدحمة بالمركبات أو الأماكن المكتظة بالسكان إلى الدهس أو السقوط المصحوب بأضرار بدنية أو الاصطدام في حالة قيامهم بسياقه مركباتهم بأنفسهم , مما يتسبب من جراءه حصول إضرار بدنية وصحية ونفسية للمسنين أوتعرضهم للموت أحيانا , وبفقد هؤلاء المسنين يكون قد فقدنا دعامة أساسية من دعائم المجتمع .

٧. السقوط من السلالم والأرضيات :
قد يتعرض المسنون إلى إصابات خطيرة جراء سقوطهم من درجات السلم أو على الأرض بسبب ضعف أجسادهم أو حواسهم نتيجة تقدمهم في السن وعدم توازنهم في المشي الأمر الذي يتسبب في انزلاقهم أو سقوطهم المفاجئ على الأرض الذي قد يؤدي إلى أحداث كسور أورضوض في عظامهم أو جروح بالغة الخطورة على حياتهم , وفضلا عن ذلك تعرضهم أحيانا إلى حوادث التعثر نتيجة ارتطام أحد قدمي المسن بأي جسم أثناء السير , مما يؤدي إلى انعدام التوازن والذي يحدث بعده سقوطهم وحدوث الإصابات البليغة.

المبحث الثالث
حقوق كبار السن في الشريعة الإسلامية ولوائح الأمم المتحدة

أولا : حقوق كبار السن في الشريعة الإسلامية :
يرى الإسلام أن مرحلة الشيخوخة هي مرحلة ضعف وهزال و يحتاج فيها الإنسان المسن إلى رعاية خاصة وعناية تشمل جوانب حياته تماما تشابه الرعاية في مرحلة الطفولة مع اختلاف متطلبات المرحلتين وهذا مايتضح في قوله تعالى والله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا أوشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير سورة الروم الآية (٥٤) .

وكذلك في قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون سورة يس الآية (٦٨) والإسلام لايقف عند هذا الحد بل يسير إلى أبعد من هذا حين يقرر أن الإنسان عليه أيكون عضوا نافعا فعالا في الحياة لا أن يصل سن معينة ويتوقف وإنما إلى نهاية حياته مادام قادر على العطاء والتواصل في ضوء ظروفه وإمكاناته وقدراته الصحية والاجتماعية والنفسية , وهذا ما يؤكده قول المصطفى (إذا قامت الساعة وكان في يد أحدكم فسيلة , فأستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)

وتستند رعاية كبار السن في الإسلام على مرتكزات أساسية عديدة تنطلق منها أوجه الرعاية المقدمة لهم ومن أبرزها مايلي :

١. الإنسان مخلوق مكرم ومكانته مرموقة ومحترمة في الإسلام :

وخير الدلائل على ذلك ما جاء بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .

٢. المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متواد:

إذا ورد في الذكر الحكيم واصفا المؤمنين بقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم سورة الفتح الآية (٢٩) . كما جاء في الحديث الشريف أن النبي قال : (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) وفي حديث آخر قوله (الراحمون يرحمهم الله , ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .

٣. المجتمع المسلم مجتمع متعاطف متعاون :

حرص الإسلام على جعل المجتمع متآزرا متعاونا يشد بعضه بعضا وحث على التواصل بين أفراد المجتمع وخدمة بعضهم البعض وتفريج كرب أخوانهم المسلمين وإدخال السرور على أنفسهم وكف ضيعتهم ورتب على ذلك الأجر الجزيل واعتبره الرسول الكريم من أفضل الإعمال حيث روي عن النبي أنه قال (أفضل العمل أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تقضي عنه دينا أو تطعمه خبزا) . وفي حديث آخر قوله (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس , وأحب الأعمال إلى الله سرورا يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة) وفي مجال التعاون يقول النبي ((ومن يكن في حاجة أخيه يكون الله في حاجته)) , ((المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من وراءه)) .

٤. المسن المؤمن له مكانته عند الله ولايزاد في عمره ألا كان له خيرا :

تضافرت الأحاديث الواردة عن الرسول حول هذا الموضوع فقد روي عن الرسول أنه قال ((لايتمنى أحدكم الموت ولايدع به من قبل أني يأتيه أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لايزيد المؤمن عمره ألا خيرا)) . وفي حديث آخر للرسول الكريم ((ليس أحد أفضل من مؤمن يعمر في الإسلام بتسبيحه وتكبيره وتهليله , الخير مع أكابركم والبركة مع أكابركم)) .

٥. توقير الكبير وإكرامه والتشبه باسمه من سمات المجتمع المسلم :

وهذا ما يجسده الأحاديث الشريفة أن النبي قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) وفي حديث آخر ((خير شبابكم من تشبه بكهولكم))وفي حديث آخر ((أن الله يحب ابن العشرين إذا كان شبيه ابن الثمنين) وفي حديث آخر (أن من إجلال الله إكرام ذي الشيبه المسلم) .

نطاق مسؤولية التكافل في رعاية كبار السن

تنحصر مسؤولية التكافل في مجال رعاية المسنين في نطاقين :

أ) التكافل في نطاق الأسرة :

- لما كانت الأسرة هي نواة المجتمع وخليته الأولى وهي الحاضنة لأفرادها فأن المسؤولية المباشرة في رعاية كبار السن تقع بالدرجة الأولى عليها من حيث توفير مستلزمات الرعاية وتوجيه الأبناء في طاعة الكبار واحترامهم استرشادا بما ورد في تعاليم ديننا الحنيف وقيم مجتمعنا ، من حيث :
- إن الله سبحانه وتعالى قد أوصى بالوالدين خيرا وأمر ببرهما وزيادة رعايتهما إذا أصبحا طاعنين في السن وجعل الإحسان إليهما قرين عبادته قال تعالى وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا , كما جعل شكره قرين بشكر الوالدين قال تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير .
- لقد جعل الله الشرك قرين العقوق للوالدين وفي الحديث الشريف (أن الكبائر ذكرت عند رسول الله حيث

قال : (الشرك بالله , وقتل النفس , وعقوق الوالدين) صحيح البخاري.

- وقد نهى الله سبحانه وتعالى نهر الوالدين حتى ولو بأدنى الكلمات : وهي(أف) وقال بعض العلماء (لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من آفا لحرمه) .
- لقد أتى بر الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة حيث (قال النبي عندما سئل أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة في وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله) .
- جعل الله تعالى للوالد حرية التصرف في مال ابنه حيث ورد في الحديث الشريف أن الرسول قال: (أنت ومالك لأبيك).
- لايقتصر بر الوالدين على كونهما مسلمين : بل الابن مطالب ببرهما حتى وأن كانا مشركين قال تعالى : ووصينا الإنسان بوالديه حسنا سورة العنكبوت آية (٨) , وفي آية كريمة أخرى وان جاهداك على أن تشرك بي فلاتتطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا سورة لقمان آية رقم (١٥) .

وفي مقابل طاعة الوالدين نعرض صورا من عقوق الوالدين التي تمثل أهم المشكلات التي تواجه الأسرة :

- إبكاء الوالدين وتحزينهما في القول والفعل لكونها من الكبائر .
- إدخال المنكرات أو مزاولتها أمامهما عمدا .
- البراءة منهما أو التخلي عنهما , وعن الرسول أنه قال (لاترغبوا عن إبائكم , فمن رغب عن أبيه فهو كافر) , وفي حديث آخر (أن لله تعالى عبادا لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولاينظر إليهم , قيل ومن يارسول : قال : (متبرئ من والديه راغبا عنهما , ومتبرئ من ولده , ورجل أنعم عليه قوما فكفر نعتهم وتبرئ منهم) .
- تقديم الزوجة في الرعاية والاهتمام على الوالدين.
- عدم زيارة الوالدين وتفقدهما والسؤال عنهما بشكل مستمر وهذا الأمر يمثل قطعا لصلة الأرحام .
- أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة امتعاض وشزرعند الغضب أو الاستهزاء أو التكبر .
- أن يستحوذ الغرور على الأبناء فيستحيون أن ينسبوا أو يسموا أو يلقبوا بأسماء أبائهم .
- أن لاينفق الولد على والديه الفقيرين أو المحتاجين فيضطرهما إلى إقامة الدعوة عليه ليلزمه القاضي بالإنفاق عليهما .
- سب الوالدين أوشتمهما فهو من أعظم العقوق وأكبر الكبائر .

ب) التكافل في نطاق المجتمع :

- لما كان من أهم سمات المجتمع القوي البنيان المحبة والتعاون والتماسك والتكافل بين أبنائه فإن من بين أولويات مسؤولية المجتمع احترام كبار السن وتلبية حاجتهم ومطالبهم وإعلاء شأنهم وتقدير مكانتهم ومنزلتهم وفاء لما قدموه من خدمات جليلة أسهمت في إرساء قواعد بناءه ونهوضه ، لذا فإن لكبير السن مكانته المتميزة في المجتمع فهو يتعامل معه بكل توقير واحترام استرشادا بالمبادئ والقيم والتعاليم الرفيعة في الشريعة الإسلامية ووالقيم التراث الأصيل للمجتمع العربي الإسلامي , ولعل من أهم صور هذا التقدير مايلي :
- إلقاء السلام : أي أن الصغير يسلم على الكبير تقديرا واحتراما له
- تقديم الكبير عند الأكل والشرب والصعود والنزول وغيره من التعاملات الأخرى عملا بما جاء في حديث الرسول (إبدؤا بالأكابر) .
- بناء دور خاصة برعاية المسنين , حيث برز في المجتمع المسلم مايسمى (بالأربطة) وهي أماكن تهيأ وتعد لسكن المحتاجين وأصبح بعضها ملاجئ مستديمة لكبار السن , ثم ظهرت المؤسسات الاجتماعية المعنية برعاية المسنين التي تديرها الدولة وتشرف على تنظيمها وتمويلها .

ثانيا : حقوق كبار السن ورعايتهم في ضوء مبادئ ومواثيق الأمم المتحدة:

- اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم (٤٦ / ٩١) والمؤرخ في ١٦/ كانون الأول - ديسمبر /١٩٩١م الحقوق المتعلقة بكبار السن .
- تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بشكل مفصل تلك الحقوق .
- شمل العهد الدولي الخاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وغيرها من الإعلانات الرامية إلى ضمان تطبيق المعايير العالمية على فئات معينة ومنها فئة كبار السن .
- تضمنت خطة العمل الدولية للشيخوخة التي اعتمدتها الجمعية العامة للشيخوخة وأيدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم (٣٧/ ٥١) والمؤرخ ٣ كانون الأول- ديسمبر /١٩٨٢م مجموعة معايير سبق أن أكدت عليها اتفاقيات وتوصيات وقرارات كل من : منظمة العمل الدولية , منظمة الصحة العالمية وغيرها من كيانات الأمم المتحدة .

أهم المعايير التي أوصت الأمم المتحدة باعتمادها في البرامج الوطنية للدول بشأن رعاية المسنين

- أولا : الاستقلالية

١. ينبغي أن تتاح لكبار السن إمكانية الحصول على ما يكفي من الغذاء والماء والمأوى والملبس والرعاية الصحية وأن يوفر لهم مصدرا للدخل إلى جانب دعم أسري ومجتمعي ووسائل للعون الذاتي .
٢. ينبغي أن تتاح لكبار السن فرصة العمل أو فرص أخرى مدرة ومدعمة لدخلهم .

- ينبغي تمكين كبار السن من المشاركة في تقرير وقت تقاعدهم عن العمل وانسحابهم منه.
- ينبغي أن تتاح لكبار السن إمكانية الاستفادة من برامج التعليم والتدريب الملائمة ليتواصلوا مع تطور الثقافة والمعرفة.
- ينبغي تمكين كبار السن من العيش في بيئات مأمونة وقابلة للتكيف بما يتلاءم ما يفضلونه شخصيا وقدراتهم المتغيرة .
- ينبغي تمكين كبار السن من مواصلة الإقامة في منازلهم لأطول فترة ممكنة .

ثانيا : المشاركة

١. ينبغي أن يظل كبار السن مندمجين في المجتمع وأن يشاركوا بنشاط في صوغ وتنفيذ السياسات التي تؤثر مباشرة في رفاههم وأن يقدموا للأجيال الشابة معارفهم ومهاراتهم .
٢. ينبغي تمكين كبار السن من التماس وتهيئة الفرص لخدمة المجتمع المحلي , ومن العمل كمتطوعين في أعمال تناسب اهتماماتهم وقدراتهم .

١. ينبغي تمكين كبار السن من تشكيل الجمعيات أو الرابطات الخاصة بهم .

- ثالثا : الرعاية

١. ينبغي أن يستفيد كبار السن من رعاية وحماية الأسرة والمجتمع المحلي وفقا لنظام القيم الثقافية في كل مجتمع.
٢. ينبغي أن تتاح لكبار السن إمكانية الحصول على الرعاية الصحية لمساعدتهم على حفظ أو استعادة المستوى الأمثل من السلامة الجسمانية والذهنية والعاطفية ولوقايتهم من المرض أو تأخير إصابتهم به .
٣. ينبغي أن تتاح لكبار السن إمكانية الحصول على الخدمات الاجتماعية والقانونية لتعزيز استقلاليتهم وحمايتهم ورعايتهم .
٤. ينبغي تمكين كبار السن من الانتفاع بالمستويات الملائمة من الرعاية المؤسسية التي تؤمن لهم الحماية والتأهيل والحفز الاجتماعي والذهني في بيئة إنسانية ومأمونة .
٥. ينبغي تمكين كبار السن التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية عند إقامتهم في أي مأوى أو مرفق للرعاية أو العلاج , بما في ذلك الاحترام التام لكرامتهم ومعتقداتهم واحتياجاتهم وخصوصياتهم ولحقهم في اتخاذ القرارات المتصلة برعايتهم ونوعية حياتهم .

- رابعا : تحقيق الذات

١. ينبغي تمكين كبار السن من التماس فرص التنمية الكاملة لإمكاناتهم .
٢. ينبغي إن تتاح لهم إمكانية الاستفادة من موارد المجتمع التعليمية والثقافية والروحية والترويحية .

- خامسا : الكـرامـة

١. ينبغي تمكين كبار السن من العيش في كنف الكرامة والأمن ودون خضوع لأي استغلال أو سوء معاملة جسديا أو ذهنيا .
٢. ينبغي أن يعاملوا معاملة منصفة , بصرف النظر عن أعمارهم أو جنسهم أو خلفيتهم العرقية أو الإثنية أو كونهم عاجزون أو غير ذلك , وان يكونوا موضع التقدير بصرف النظر عن مدى مساهمتهم الاقتصادية.

المبحث الرابع

أهم التحديات التي تواجه كبار السن والحلول المقترحة لمعالجتها

أولاً : أهم التحديات :

- إن الزيادة المطردة والمستمرة في إعداد المسنين هي ظاهرة عالمية قبل أن تكون ظاهرة محلية ، لذا بات ضروريا الاهتمام بالتحديات التي تواجه هذه الفئة والتي تناولتها وأكدتها مواد حقوق المسنين المختلفة بشكل عام والمبينة في المبادئ الأساسية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان المادة (٢٥) الفقرة رقم (١) والتي على أساسها يمكن تصنيف حقوق المسنين إلى ثلاثة مواضع أساسية هي :
- حق المسن في الحماية لاسيما مع ما تتسم به هذه المرحلة من الضعف وسرعة التعرض للإيذاء وما يتطلبه من ضمان حقه في الحماية من الأذى البدني والنفسي والعاطفي .
- حق المسن في المشاركة الفاعلة في المجتمع سواء من خلال المشاركة الاقتصادي أو الاجتماعية أو السياسية أو من خلال بعض الأعمال والأنشطة التطوعية .

- حق المسن في المساواة من ناحية التعامل وعدم التمييز على أساس السن.

ثانياً : الحلول المقترحة لمعالجة التحديات :

١- توفير مصدر دخل مناسب وكاف للمسنين وتحقيق شبكة الأمن والأمان الاجتماعي والمعاشي لهم في الكبر عن طريق (نظام التقاعد ، قانون الضمان الاجتماعي ، نظام التوظيف ، المشاركة الاقتصادية) . وتشكل الوسائل التي أشرنا إليها ضمانات أساسية تلعب دوراً أساسياً في توفير مصادر دخل للمسنين وهي الملجأ الأخير لهم وتمثل الشبكة الاجتماعية التي تقيهم من الفقر والعوز والحرمان وبالتالي فإن النساء المسنات هن الفئات الأكبر في المجتمع ممن يواجهن تحدي الأمان الاقتصادي وبالأخص في الفئات العمرية المتقدمة واللاتي سيدخلن سن الشيخوخة خلال السنوات العشرة المقبلة بالإضافة إلى مسنات اليوم هي محط القلق والتفكير لإيجاد الحلول المناسبة لهذا التحدي.
وهناك ثلاثة مبادئ تحقق الأمان والاستدامة لنظام التقاعد هي :

- المحافظة على قدرة عمل النظام (الكفاية) وذلك للوقاية من الفقر والعزل الاجتماعي بين المسنين – وللمحافظة على مستوى المعيشة بعد التقاعد لتشجيع التضامن والتكافل بين الأجيال.
- ضمان الاستدامة المالية وذلك من خلال تحقيق معدل مشاركة عال – المحفزات لمشاركة العاملين من كبار والسن ، وإصلاح نظام التقاعد لاستدامة المالية العامة ، وتحقيق توازن بين عدد السكان النشطين اقتصادياً وعدد السكان.
- مواجهة الحاجات الاجتماعية المتغيرة من خلال كون النظام التقاعدي قادر على الاستجابة والتطور وفقا لتغيرات سوق العمل وأن تتوفر فيه المرونة ويأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي تطرأ على سوق العمل وعلى دور المرأة في المجتمع وأن تتوفر فيه الشفافية والقدرة على التكيف.

٢- المحافظة على تضامن وتكافل وتواصل الأجيال :

لما كانت الأسرة هي المصدر الرئيسي لتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين وأن مقدار هذه الرعاية يعتمد على طبيعة العلاقات السائدة بين أفرادها بمختلف فئاتهم العمرية ، لذا يصبح من المهم المحافظة على العلاقات الحسنة بين الأجيال المختلفة داخل الأسرة الواحدة ، وهذا يجب أن يكون محط اهتمام واضعي السياسات والخطط والاستراتيجيات الاجتماعية والأسرية لاسيما في ظل التغيرات الاجتماعية الحالية والمستقبلية التي تواجهها الأسرة .

٣- توفير الرعاية الطويلة المدى للمسنين :

كانت الأسرة ومازالت حتى وقتنا الحاضر مصدر الرعاية الأساسية للمسنين ، وتلعب المؤسسات الحكومية المطبقة في الدولة ودوراً هامشيا أو مكملا ، غير أن إحدى التحديات الحالية تطرح علينا السؤال الأتي : (إلى متى وإلى أي درجة ستظل الأسرة هي مصدر الرعاية الأساسي للمسنين في ظل الحاجات المتزايدة للسكان في المجتمع والمسنين بالذات وفي ضوء المطالب والتحديات الجديدة؟)، إن الاعتقاد السائد حالياً أن الأسرة أصبحت أقل استعداد في رعاية أقاربها عما كان عليه في السابق وقد يكون السبب في هذا ليس عدم الرغبة وإنما بسبب عدم القدرة على تقديم الرعاية المطلوبة نظراً لاختلاف هيكل الأسرة وخروج الأم والأخت للعمل ويأتي التحدي لواضعي السياسات في المنطقة العربية عامة ودول الخليج خاصة من خلال كيفية التأهب وتلبية الحاجات المتزايدة للسكان وللمسنين بالذات وبالتالي فإن المقترح الذي نطرحه (هو أن تتوسع الدولة في تقديم خدمات الرعاية في الأجل الطويل بحيث تتقاسم عملية الرعاية لكل من الأسرة والدولة لتحقيق مبدأ التشاركية) ، وذلك من خلال تأهيل كوادر قادرة على تقديم الرعاية الصحية الأولية بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية للمسنين , فضلاً عن دعم المراكز القائمة حالياً والمعنية بالمسنين ورعايتهم اجتماعياً وكذلك الاستمرار في مجانية العلاج الصحي أو فرض رسوم مخفضة لعلاج المسنين في حالة تطبيق نظام التأمين الصحي في الدولة وهو أمر ضروري ومهم .

٤.معالجة العزلة الاجتماعية والتمييز ضد المسنين :

أن الخروج المبكر من الوظيفة وإحالتهم على التقاعد يحرم المسنين من فرصة المشاركة الاقتصادية أو الحصول على فرص عمل عاجلة , هذا وأن تشجيع العمالة الأكبر سنا على الخروج من الوظيفة أوسوق العمل سوف يسهم في ارتفا ع معدلات البطالة ،وكمعالجة للموضوع فأن إصلاح نظام التقاعد واعتماد المرونة في تحديد سن التقاعد بين حد أدنى وحد أعلى يمكن أن يتقاعد عنده الموظف أو العامل هو أحد الحلول المقترحة للقضاء على التمييز على أساس السن الذي يفرضه قانون التقاعد .

٥. تمكين المسنين ودمجهم في المجتمع :

وهذا يستوجب من واضعي السياسات الخاصة بالمسنين الاهتمام باكتشاف طرق جديدة لتمكينهم ومشاركتهم في عملية اتخاذ القرار هذا بالإضافة إلى ضمان توفير فرص المشاركة الاقتصادية والتمكين الاقتصادي وتحقيق الذات بحيث يمكنهم الاعتماد على أنفسهم وتحقيق الاستقلالية الاقتصادية لأنفسهم بما يمتلكونه من مؤهلات ومهارات وقدرات وتسلح بالعلم , وهنا نلاحظ أن من أهم معوقات التمكين هو انتشار الأمية بين المسنين لاسيما بين النساء منهم , وهذا

يتطلب اقتراح سياسية للتوسع في برامج محو الأمية وتعليم الكبار ومراكز لتأهيل المسنين أو .إعادة تأهيلهم وتدريبهم
٦.ضرورة قيام مؤسسات المجتمع المدني الأهلية والخاصة والجمعيات الخيرية والإنسانية بالتفكير الجاد لإيجاد مشاريع استثمارية يمكن من خلالها استثمار طاقات الكبار وخبراتهم الغنية وتوظيفها في مشروعات صغيرة أو متوسطة توفر لهم دخلا أضافيا وتخرجهم من عزلتهم وتشعرهم بذاتهم ومكانتهم المهمة في المجتمع كمصدر للعطاء الذي لاينضب .
٧. ضرورة السعي لإنشاء جمعيات ومنظمات مجتمعية مساندة للمسنين كجماعة أصدقاء المسن بالإضافة إلى إنشاء نوادي خاصة بهم يمكن من خلالها قضاء أوقات فراغهم وممارستهم لبعض الأنشطة العلمية والثقافية والاجتماعية والرياضية وممارسة بعض الهويات لاستثمار طاقاتهم وفراغهم بشكل نافع .
٨. تلافيا لهشاشة أوضاع بعض المسنين وحساسيتهم وربما تعرضهم للفقر والمرض والعجز في الكبر , فأن ذلك يتطلب اعتماد سياسات مرنة تستند على مايلي :

- أولها :دعم الأسر التي ترعى مسنين وتساندهم وتشجيعها على العناية بهؤلاء المسنين وذلك عن طريق تقديم مساعدات مادية أو عينية أو طبية لهم وغيرها .
- وثانيها : توفير مراكز ومؤسسات أهلية أو خاصة برعاية المسنين لإيواء المسنين ممن لا أسر لهم ، أو ممن لا تستطيع أسرهم توفير الرعاية الكافية والمناسبة لهم , أو المسنين الذين يرغبون في العيش خارج نطاق أسرهم , وأن يتم فيها توفير الجو العائلي والمستلزمات المختلفة التي لاتشعرهم بالعزلة الاجتماعية .

٩.العمل على دعم المؤسسات والمراكز الرعوية الخاصة بالمسنين من ذوي الاحتياجات الخاصة عن طريق دعمها ماديا وعينيا وطبيا , والاستمرار في مجانية العلاج الطبي لفئة المسنين وتوفير الأدوات والمستلزمات التي يحتاجها والعاجزون منهم , أو فرض رسوم مخفضة لعلاجهم في حالة تطبيق نظام التأمين الصحي في الدولة مستقبلا .
١٠. ضرورة الاستمرار في إيجاد فرص عمل مناسبة للمسنين تضمن مشاركتهم الاقتصادية واستثمار طاقاتهم ودمجهم في المجتمع بما يحقق مبادئ الشيخوخة المنتجة التي أوصت بها وأكدتها المؤتمرات الدولية التي عقدت تحت مظلة ورعاية منظمة الصحة الدولية , وجاءت توصياتها مؤكدة على العلاقة الوثيقة بين الصحة والنشاط والإنتاج وعلى أهمية الشيخوخة الصحية والشيخوخة المنتجة.
١١. العمل على تبني مفهوم الشيخوخة المنتجة لما لها من تأثير إيجابي مباشر على كل من : (نظم التقاعد , التوظيف , الرعاية الاجتماعية) لكونها :

- أولا : تسهم في زيادة الدخل التقاعدي للمسنين وتوسيع المصادر الممولة لنظام التقاعد.
- ثانيا وكونها لاتشجع الأفراد العاملين على التقاعد بسن مبكرة من الوظيفة أوسوق العمل.
- ثالثا : تؤدي أيضا إلى زيادة سنوات الخدمة للعاملين , وتغطي جزءا لايستهان به من تكاليف الرعاية الصحية والاجتماعية الخاصة بالمسنين .
- وشكرا لحسن استماعكم
- مع تحيات
- المؤسسة القطرية لمكافحة الاتجار بالبشر
- QFCHT